

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[220] (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) (1). يتّضح ممّا قلنا أنّ جملة (لجعلناه رجلاً)

لا تعني: أنّنا سنجعله على هيئة انسان، كما تصور بعض المفسّرين، بل تعني: أنّنا نجعله على هيئة البشر في الصفات الظاهرية والباطنية، ثمّ يستنتج من ذلك أنّهم - في هذه الحالة أيضاً - كانوا سيعترضون الإعتراض نفسه، وهو: لماذا أوكل الأ مهمة القيادة إلى بشر وأخفى عنّا وجه الحقيقة: (وللبسنا عليهم ما يلبسون). "اللبس" بمعنى خلط الأمر وجعله مشتبهاً بغيره خافياً، و"اللبس" بمعنى ارتداء اللباس، ومن الواضح أنّ الآية تقصد المعنى الأوّل، أي أنّنا لو أردنا أن نرسل ملكاً لوجب أن يكون في صورة الإنسان وسلوكه، وفي هذه الحالة سيعتقدون أنّنا خلطنا الأمر على الناس وأوقعناهم في الإشتباه، ولكانوا يشكلون علينا الإشكالات السابقة، بمثل ما يوقعون الجهلة من الناس في الخطأ والإشتباه ويلبسون وجه الحقيقة عنهم، وعليه فإنّ نسبة "اللبس" والإخفاء إلى الأ - إنّما هي من وجهة نظرهم الخاصة. وفي الختام يهون الأمر على رسوله ويقولون له: (ولقد استهزء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون). هذه الآية في الواقع تسلية لرسول الله(صلى الأ عليه وآله وسلم) يطلب الأ فيها منه أن لا ترعزعه الزعازع، ويهدد في الوقت نفسه المخالفين والمعاندين ويطلب منهم أن يتفكروا في عاقبة أمرهم المؤلمة(2). * * *

1 - الضمير "جعلناه" يمكن أن يعود على الرّسول، أو على من يرسل معه لإعانتته على تثبيت النبوة وعلى الإحتمال الثّاني يكون إقترحهم قد تحقق، وعلى الأوّل قد تحقق أكثر ممّا طلبوه. 2 - "حاق" بمعنى أحاط به وحل به، و"ما كانوا به يستهزؤون" أي ما كانوا يستهزؤون به من تهديد وإنذار يسمعون من أنبياء الأ مثل إنذار نوح وقومه بوقوع الطوفان، فكان قومه من عبدة الأصنام يسخرون من ذلك. وعليه فلا ضرورة لتقدير كلمة "جزاء" كما يقول بعضهم، إذ يكون المعنى: العقوبات التي كانوا يستهزؤون بها حلت بهم.